الندوة العلمية: "ظواهر شجاعة اللغة العربية"

يوم 07 ديسمبر 2023

كلية الآداب والحضارة الإسلامية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية قسنطينة

ظاهرة العدول في المشتقات الوصفية

–دراسة تطبيقية في آيات من القرآن الكريم–

د/ نادية توهامي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

محور المداخلة: شجاعة العربية في التراث النحوي والبلاغي

الملخص:

يحاول البحث الوقوف على ظاهرة أسلوبية أسهمت في توسيع العربية وهي ظاهرة العدول في المشتقات الوصفية، وقد اخترت نماذج تطبيقية في آيات بينات من القرآن الكريم.

واعتمدتْ الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي، وكان من نتائجها أنّ للعدول الصرفي بين المشتقات أهداف وغايات من توظيفه في أي نص من النصوص.

الكلمات المفتاحية: ظاهرة العدول– المشتقات الوصفية– الصيغة.

Abstract:

The research attempts to identify a stylistic phenomenon that has contributed to the expansion of Arabic, which is the phenomenon of variation in descriptive derivatives. I have chosen applied models in clear verses from the Holy Qur'an.

The study relied on the descriptive analytical approach, and one of its results was that the morphological change between derivatives has goals and objectives for employing it in any text

Keywords: the phenomenon of variation – descriptive derivatives – formula.

المقدمة:

العدول هو مفهوم لا يقتصر على لغة معينة وإنما يشمل جميع اللغات ومن بينها اللغة العربية، ويشكل العدول الصرفي ظاهرة لغوية بارزة لها أهميتها في القرآن الكريم، ولها قيمتها التعبيرية في الدلالة القرآنية، وعلى هذا الأساس يركز البحث على استقراء العدول الذي ورد في بعض آيات القرآن الكريم فيما بين الصيغ المعدول عنها والمعدول إليها حسب اتفاقها في جذر واحد.

وقد اتخذ العدول أو التحويل في الصيغ الصرفية مظاهر كثيرة منها: العدول عن صيغة فاعل إلى صيغ أخرى وأيضا العدول عن صيغة المفعول وصيغة فعيل وفعول إلى غير ذلك.

وللعدول الصرفي أغراض دلالية وجمالية تتمثل في تقوية المعنى باستخدام صيغ تدل على التكثير أو

المبالغة أو القوة بدلا من صيغ أخرى.

ويتمثّل ذلك جليّاً في أسلوب المبالغة بصيغتي (فعول)، و(فاعل)، أو النسب بصيغة (فاعل)

كما أنّ له أغراضاً صوتية تتمثّل في تحقيق الهمزة وتخفيفه.

وقد كثرت ألفاظ القرآن الكريم التي فُسرت بالعدول الصرفي كثرة بالغة ومع كثرتها تعددت أقوال اللغويين والمفسرين في تلمس دلالتها سواء على مستوى اللفظ المفرد أو البناء العام.

العدول في اللغة والاصطلاح:

العدول في اللغة: عدل عنه، يعدل عدولا: حاد وعدل إليه عدولا: رجع وعدل عن الطريق: مال.[1]

و" عدلَ عدلاً وعُدولاً وعدالة... ويقالُ: عدلَ بربه عدلاً وعُدولاً أشرك وسوّى به غيرَهُ".[2]

العدول: اصطلاحا

هناك تعريفات اصطلاحية عديدة منها:

"إنّ العدول في معناه الاصطلاحي هو الانتقال بالألفاظ في النص من سياقها المألوف الاعتيادي إلى سياق جديد خلاف الظاهر، مما يثير التساؤل، ويلفت النظر والانتباه".[3]

أما **العدول في اصطلاح النحويين:** "هو خروج الاسم عن صيغته الأصلية إلى صيغة أخرى"[4]

---

[1]- الفيروز أبادي مجد الدين بن يعقوب، القاموس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة ج8، 2005م، ص1030.

[2]- إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، ط1، 1992م، ج2،ص588

[3]- الفياض. حسن حميد، العدول في السياق القرآني، وزارة التعليم العالي جامعة الكوفة، 2008م، ص05.

[4]- الشريف الجرجاني، التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ-1983م.

وقد نال **العدول الصرفي** اهتماما واسعا في مصنفات علماء العربية، فعبروا عنه بمصطلحات مختلفة منها التحويل والتحول والتناوب والمجاز والالتفات والانحراف والنقل أو الانتقال والاتساع وشجاعة العربية والحمل على المعنى والانزياح ومخالفة مقتضى الظاهر وغيرها.[5]

وهذه المصطلحات المترادفة تُحيل –في محصلتها النهائية– إلى الخروج عن الأصل وتركه إلى ما ليس بأصل– كما مربنا– وفي هذا الصدد يقول تمام حسان: "الأسلوب العدولي خروج عن الأصل أو مخالفة القاعدة."[6]

وظاهرة العدول وإن تغيّرت مسمياتها سواء عند اللغويين العرب القدماء أو المحدثين تظَلُ في مفهومها شيئاً واحداً، فكانت في البداية بسيطة، ثم ما لبثت أن اكتست حلة جديدة تجعل منها أكثر حيوية ودقة، والرقي بها لأن تُصبح أكثر عملية لمسايرة تطورات العصر لاسيما في مجال اللغة.

العدول بين المشتقات الوصفية في القرآن الكريم:

إنّ العدول في النص القرآني ، ليس خروجاً أو خرقاً لنظام العربية كما يرى أكثر النحاة والبلاغيين ولاسيما المعاصرون، إنما هو خروج على القياس النحوي لا الواقع الاستعمالي للنصّ القرآني ، هو نظام العربية نفسه في أعلى درجاته الإبداعية البلاغية؛ لتؤدي اللغة معاني لا تؤدى إلا في ضوء أنظمة العربية المختلفة : الصرفي والنحوي والبلاغي وغيرها؛ وهو أحد وجوه إعجاز القرآن وسرّ التحدي للبشر عامة الذين لم يبنوا لغاتهم على نظام مطّرد معجز.

وقد وردت عدة آيات قرآنية تضمنت عدولا بين المشتقات منها:

العدول عن اسم المفعول إلى اسم الفاعل:

[5]- ينظر: العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، ط1، 1416هـ-1995م، ج1، ص502.

[6]- تمام حسان، البيان في روائع القرآن، ج2، ص77.

قد يكون العدول عن صيغة (مفعول) إلى صيغة(فاعل)، كقوله تعالى:{ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ خُلِقَ مِنْ مَاءٍ دَافِقٍ} سورة الطارق[5-6]، والماء الدافق (فاعل) في اللفظ ومفعول في المعنى، ومعناه من ماء مدفوق، أي: مصبوب، فتحوّل (مفعول) إلى (فاعل) لأنه أبلغ وأمكن في الوصف من المفعول، فالدافق أبلغ من المدفوق؛ فقد جعله كأنه الفاعل؛ لأن العرب إذا أرادوا المبالغة في وصف الشيء جاؤوا بفاعل بدل مفعول.

ومنه قوله تعالى:{ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ} القارعة[6-7].فراضية نعت للعيشة (فاعلة) هاهنا بمعنى مفعولة[7] ومعناه في عيشة مرضية؛ لأنّ أهلها يرضَوْن بالعيش في دار الخلود، فالقوم راضون بالعيش – مرضيٌ- أي أقيمت فاعلة مقام مفعولة.[8]

وقوله تعالى: { فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ}الطارق[10]. وناصر (جر) نسق على (قوة) فالفاعل (ناصر)، والمفعول (منصور).

وقوله تعالى لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ} سورة هود [43].أي لا أحد معصوم من أمر الله.

ف(من) في موقع نصب؛ لأنّ المعصوم خلاف للعاصم، والمرحوم معصوم وأنت لا يجوز لك في وجه أن تقول: المعصوم عاصم، ولكن لو جعلت العاصم في تأويل معصوم كأنك قلت: لا معصوم اليوم من أمر الله، لجاز رفع (من)، ولا تنكرن أن يخرج المفعول على فاعل.

العدول بين صيغتي المبالغة (فعول ، فعّال)

يسعى المنشئ في بعض سياقات الخطاب إلى إكساب خطابه طابع المبالغة لتحقيق قيمة جمالية معينة أو غرض بلاغي دلالي ما وتحفل اللغة العربية بصيغ كثيرة من صيغ المبالغة التي يتوسل بها المنشئ ومن هذه الصيغ (فعول وفعّال)

[7]- الميداني، مجمع الأمثال العربية، تحقيق: مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد، ، 1955م، القاهرة، ص

[8]- إعراب ثلاثين سورة، ص115.

ففي قوله تعالى: {وَآتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ۗ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ} سورة إبراهيم[34].

ينتمي طرفا الظاهرة العدولية إلى حقل صيغ المبالغة

الصيغتان: ظلوم ـــــــ كفار

فعول ـــــــ فعّال

ونستنتج مما سبق أنّ صيغة (فعول) أبلغ من صيغة (فعّال) في الدلالة على مدة اتصاف الموصوف بالحدث الدلالة الزمنية وأن صيغة (فعّال) أبلغ من صيغة (فعول) في الدلالة على شدة المبالغة وارتفاع نسبتها وفي ضوء هذه النتيجة تقارب ظاهرة العدول في الآية.

العدول عن صيغة اسم الفاعل إلى صيغة المبالغة

وذلك في قوله تعالى: { إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} سورة الإنسان[03]

شاكرا ـــــــ كفورا

اسم فاعل ـــــــ صيغة مبالغة

شاكراً ـــــــ كافراً

اسم فاعل ـــــــ اسم فاعل

العدول عن اسم الفاعل إلى صيغة فعيل:

تشتق صيغة (فعيل) من مصادر الأفعال الثلاثية اللاّزمة المضمومة العين غالباً، للدّلالة على الصفة المشبّهة باسم الفاعل، لتدّل على الثبوت والدوام، لكنّها قد تَرِدُ بمعنى (فاعل)، و(مَفْعُول)، و(مُفعِل)، وذلك إذا قُصِدَ بـ(فاعل)، و(مفعول)، و(مُفعِل) الدّلالة على الثبوت والدّوام، وكذلك هو الحال في صيغة (فعيل)، فتُحوّلُ إلى صيغ أخرى، إذا قُصِدَ بها الحدوث لا الثبات.

وذلك في قوله تعالى:{ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ}سورة الأنعام[101].

ربما تكون(البديع) بمعنى المبدع[9] وهي من صفات الحق سبحانه وتعالى.

وقوله تعالى:{ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ}سورة التين [03] فيه وجهان:

أحدهما: أن يكون (الأمين) من الأمن، فيكون فعيلا بمعنى فاعل، كعليم بمعنى عالم.

والثاني: أن يكون (الأمين) بمعنى المؤمن، أي يؤمن من يدخله على ما قاله تعالى:{ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا} آل عمران [97]، فيكون فعيل بمعنى مفعل، كحكيم بمعنى محكم، وسميع بمعنى مسمع.

هناك العديد من التحويلات أو ما يسمى (بالعدول) الخاصة بصيغة(فعيل) وتتصل في الوقت نفسه بصيغتي (فاعل ومفعول) وهذا ما نحاول دراسته

أولاً: العدول بين فعيل ومفعول

نشير إلى أنّ بناء فعيل بمعنى مفعول مع كثرته غير مقيس ومرجعه السماع

وقد علّل ابن خالوية (ت 370هـ) العدول عن صيغة (مفعول) إلى (فعيل)، تعليلاً صوتياً، لأنّ "الياء" أخفّ من "الواو"، فيقال: "كفّ خضيب، ولمه دَهِينٌ، ورجل جريح، وصريع، والأصل: مخضوبة، ومدهونة، ومجروح، ومصروع، كلّ ذلك أصله "الواو" لأنه(مفعول)، ومنه قوله تعالى: {فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ ،وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ }سورة آل عمران[36]، وكقوله تعالى: {قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ} سورة الحجر[34].

فقال "رجيم" ولم يقل (مرجوم)، لأنّ الرجيم أبلغُ من المرجوم، لأنّ الصفة تلازمه في مثل هذه الصفة فضلاً عمّا فيها من خفّة، كقوله تعالى { وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيم} سورة يوسف[84]

[9]- الزمخشري، الكشاف، ج2، ص41.

وهو مملوء بالغيظ على أولاده ولا يظهر ما يسوء هم فعيل بمعنى مفعول بدليل قوله تعالى:{ وَهُوَ مَكْظُومٌ} سورة القلم[48]، من كظم السقاء إذا شده على ملئه.[10]

وقوله تعالى:{ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ} الطور[21]؛ أي مرهون كأن نفس العبد رهن عند الله بالعمل الصالح الذي هو مطالب به كما يرهن الرجل عبده عليه فإن عمل صالحا فكها وخلصها وإلا أوبقها.[11]

فكلمة (عقيم) في قوله تعالى: { فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ} الذاريات[29] على وزن (فعيل) بمعنى (مفعولة) لأنها بمعنى (مفعولة) لا بمعنى (فاعلة) فلذلك تم تثبت فيها الهاء.[12]

العدول عن (فاعل) و(مفعول) إلى (فعيل)

قد يأتي "فعيل" ويصحّ حمله على "فاعل" و "مفعول" في الوقت نفسه، إذْ يصحّ حمله عليهما معاً، وذلك كقوله تعالى:{ وعِنْدَنا كِتَابٌ حَفِيظٌ}ق[04].

"فحفيظ" يصحّ أن يكون محفوظاً من الشياطين ومن أيّ تغيير وتحريف فيه ويصح أن يكون حافظاً لما أُودع فيه.

ومثله كقوله تعالى:{ يَنْقَلِبْ إليكَ البَصُر خاسئاً وهو حَسِيرٌ}سورة الملك[04].

فحسير" يصحّ أن يكون "حاسراً" و "محسوراً" ولكن آثر القرآن الكريم استخدام صيغة (فعيل) بدلاً منهما لما فيها من دلالةٍ على الثبوت والدوام والمبالغة في الوصف.

العدول عن مُفْعِل إلى فعيل

---

[10]- الزمخشري، الكشاف، ج2، ص339.

[11]- الزمخشري، الكشاف، ج4، ص186، ج2، ص24.

[12]- البيان، ج2، ص391 ، ص392 بتصرف.

تستخدم العربُ "فعيلاً" بمعنى "مُفْعلٍ"، إذا أرادوا الثبوت في الصفة، كقوله تعالى:
{:{ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ} سورة البقرة[117] وسورة الأنعام [101].
أي: مُبْدِعُ السّماوات والأرض، فبديع "فعيل" لفظاً، ومعناه "مُفْعِل" –وقد مرت بنا–

الخاتمة:

بعد الحديث عن ظاهرة العدول وإعطاء نماذج عنه في آيات من القرآن الكريم؛ يمكننا الخروج بالنتائج الآتية:

–إن ظاهرة العدول بين المشتقات أصيلة في التراث العربي وإن تغيرت مسمياتها عما هو عليه الآن.

–يعدّ العدول الصرفي في ثنايا الآيات القرآنية من وجو الإعجاز القرآني التي لابد من الالتفات إليها ودراستها دراسة دقيقة.

–لقد اختلفت نسب الآيات التي تناولت العدول الصرفي بين المشتقات الوصفية –كما رأينا–

–هناك بعض الآيات القرآنية التي نجد فيها أكثر من تفسير للعدول.

قائمة المصادر والمراجع:

– إبراهيم مصطفى وآخرون، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، دار الدعوة، ط1، 1992م.

– تمام حسان، البيان في روائع القرآن، عالم الكتب، ط1، 1992م.

الشريف الجرجاني، التعريفات، ضبطه وصححه جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1403هـ–1983م.

- الزمخشري، الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت،دت

- الفيروز أبادي مجد الدين بن يعقوب، القاموس المحيط، بيروت، مؤسسة الرسالة ، 2005م.

- الفياض. حسن حميد، العدول في السياق القرآني، وزارة التعليم العالي جامعة الكوفة، 2008م.

- العكبري، اللباب في علل البناء والإعراب، تحقيق: عبد الإله النبهان، دار الفكر، دمشق، ط1، 1416هـ-1995م.

- الميداني، مجمع الأمثال العربية، تحقيق: مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد، ، 1955م، القاهرة.